من روائع الأدب العالمي

مسرحية

موريس ماترلينك

بلياس وملیزاند

ترجمة حسن صادق

دار الشعور الأدبي

بلياس وملیزاند

مسرحية

موريس ماترلنك

ترجمة
حسن صادق

دار المحرر الأدبي

obeikandl.com

موريس ماترلينك

(29 اغسطس ١٨٦٢ ـ ٦ مايو ١٩٤٩)

شاعر وكاتب مسرحي بلجيكي. يكتب باللغة الفرنسية. حصل سنة ١٩١١ على جائزة نوبل في الأدب، بفضل أعمال كان الاهتمام الأساس فيها منصباً على مسألة الموت ومعنى الحياة، في لغة جددت في التيار الرمزي، كما جددت في اللغة نفسها. ومن أبرز أعمال ماترلنك، مسرحيات مثل: «الأعمى» و «الداخل» و «الأخت بياتريس» و «الطائر الأزرق» و ، إضافة إلى مجموعات شعرية ودراسات ونصوص أدبية متنوعة جعلته من أشهر أدباء بلجيكا في زمنه.

ذاع صيته سنة ١٨٩٠ عندما كتب مقالا عن رواية لاوكتاف ميربو في جريدة لوفيجارو. حصل سنة ١٩١١ على جائزة نوبل في الأدب. ومن الطرائف أن موريس كان

openkandil.com

يريد اللتحاق في التجنيد، ردته الحكومة وقالت: (قلمك أقوى كتيبة من الجندي المسلح).

ولد موريس ماترلنك في غنت، بلجيكا لعائلة ثرية ناطقة بالفرنسية. تلقى تعليمه في كلية يسوعية متزمتة جعلته يحتقر الكاثوليكية وكل الديانات المنظمة. ثم حصل على شهادة في القانون من جامعة غنت في ١٨٨٥. ثم سافر مباشرة إلى باريس حيث قضى بضعة شهور، تقابل فيهم مع أدباء من الحركة الرمزية، وخصوصاً أوكوست فلييه ده ليل-آدم، الذي تأثر الى حد كبير له. ماترلينك فرض نفسه في باريس في عام ١٨٩٦.

كان أول عمل له مجموعة شعرية بعنوان سيريس شود (متحمس المخالب). يبدو في عام ١٨٨٩م، وهو العام نفسه الذي وصل فيه مسرحيته الأولى، الأميرة مالين، التي لقيت اشادة متحمسة من أوكتاف ميربو، الناقد الأدبي في جريدة لوفيجارو في أغسطس ١٨٩٠. تلا ذلك سلسلة من

المسرحيات تتضح فيها القدرية والصوفية مثل الدخيل (١٨٩٠)، الأعمى وبلياس ومليساند (١٨٩٢).

وأثناء علاقته بالممثلة جورجيت لبلان، كتب العديد من الأعمال، بينها كنز المتواضع ١٨٩٦ كان العمل الاكثر شعبية.

توفي في مدينة نيس في ٦ مايو ١٩٤٩.

obeikandl.com

بلياس وميليزاند

أشخاص القصة :

١ . اركل ملك الموند

٢ . جنفييف أم بلياس وجولو

٣ . بلياس حفيد إركل

٤ . جولو

٥ . ميليزاند

٦ . إينيولد الصغير ولد جولو من زوجه الاول

٧ . طبيب

obeikandl.com

الفصل الأول

المنظر الأول :

(غابة في وسطها ينبوع ماء بعيد الغور تجلس على حافته مليزاند ـ يدخل جولو)

جولو ـ أقحمني النزق تيه الغابة الكثيفة، وأخاف أن يعييني الخروج منها. . . الله يعلم الى أي مكان قادني الجواد وهو ضال في جموحه! وقد جمعت فزعي في يمناي وقدمي، ثم صببته في جروح قاتلة تفتحت في جسمه الملتهب، ولكنه أصر على الجموح وأسرف في الغضب، ولما ضللت الطريق أفلت مني وأمعن في الهرب. فقدت الجواد ويقيني أني هالك في هذا المكان الموحش. . . ستأكل الطير من رأسي وتلغ الضواري في دمي، ولن يعرف كلابي السبيل الي، سأعود الى البيت راجلا إذا اهتديت الى الطريق. . . ما هذا؟ أخرير ماء أسمع أم

هنين بكاء؟ آوه! من هذا الراقد على العشب، المطل على صفحة الماء الهادئ؟ فتاة على حافة الينبوع تنوح! (يسعل) إنها لا تسمع صوتي ولا أرى وجهها (يقترب من مليزاند ويلمس كتفها) لم تبكين؟ (تنتفض مليزاند وتنهض مذعورة تريد الهرب). خلي عنك الفزع فلست مارداً وما أنا من الشياطين. لماذا تبكين وحدك في هذا المكان الموحش؟

مليزاند ـ ابتعد عني! لا تقربني!

جولو ـ لا تخافي ولا تجزعي. لن يصيبك مني سوء. . آوه! ما أجملك!

مليزاند ـ إليك عني أو ألقي بنفسي في الماء!

جولو ـ إني بعيد، بيني وبينك خطوة. أتريننني؟ إني باق في مكاني أتحامل على هذه الشجرة. ولا تحزني ولا تخافي. هل أصابك مكروه أم رماك أحد بشر؟

مليزاند ـ أوه! نعم نعم! (ثم تتنهد تنهده عميقة)

جولو ـ ومن الذي أشقاك؟

مليزاند ـ كل الناس أشرار

جولو ـ وماذا أصابك؟

مليزاند ـ لا أريد أن أبوح به! لا أستطيع التعبير عنه!

جولو ـ كفكفي دموعك. أين مقامك؟

مليزاند ـ لقد هربت. . . نعم هربت!

جولو ـ أدركت ذلك. ولكن من أين هربت؟

مليزلند ـ ضللت الطريق. . . واصطلح علي الخوف والحيرة في سكون الغابة. لست من أهل هذا البلد، ولم أولد حيث تراني.

جولو ـ من أي بلد تكونين؟ وأين مولدك؟

مليزاند ـ من بلد بعيد المزار

جولو ـ ما هذا الشيء الذي يشع في جوف الماء بريقا؟

مليزاند ـ أين هو؟ . . . آه! إنه التاج الذي أعطاني إياه. . . لقد سقط في الماء أثناء بكائي

obeikandl.com

جولو ـ تاج؟! من الـذي أهـدى إليـك تاجـا؟ سـأبذل جهدي في انتشاله

مليزاند ـ لا تفعل، لم أعـد اشـتهيه. تلاشـت رغـبتي فيه. متمناي الساعة أن أموت

جولو ـ هين علي انتشاله فانه من حيلتي قريب

مليزاند ـ ليس لي رغبة فيه، إذا انتشلته، ألقيت نفسـي في مكانه

جولـو ـ اطمـئني بـالا وقـري عينـاً. سـأنزل علـى مشـيئتك، وأتركـه في مسـتقره، في اسـتطاعتي مـع ذلـك إخراجه من الماء بلا عناء! إنه رائع بديع! هل مضـى علـى هروبك زمن طويل؟

مليزاند ـ نعم نعم.. من أنت؟

جولو ـ الأمير جولو حفيد أركل ملك ألموند الشيخ

مليزاند ـ أوه! بدأ الشيب يدب في فوديك!

جولو ـ بعض شعرات بيضاء نثرها الزمن على رأسي

مليزاند ـ وعلى لحيتك أيضا . لماذا تحدق في هكذا؟ !

جولو ـ أرنو الى عينيك . . . انك لا تغمضينهما لحظة واحدة!

مليزاند ـ أغمضهما في الليل .

جولو ـ مالي أرى الحيرة في لحاظك؟

مليزاند ـ أمارد أنت؟

جولو ـ إني بشر مثلك .

مليزاند ـ لم وطئت هذا المكان؟

جولو ـ أجهل ذلك الجهل كله . كنت أصيد في الغابة فرأيت خنزيرا وحشيا فانطلقت وراءه بجوادي . ولكني أخطأت الصيد وضللت الطريق . . . ماء الشباب يترقرق في وجهك ، ما عمرك؟

مليزاند ـ بدأت أشعر ببرودة الهواء!

جولو ـ أتأتين معي؟

مليزاند ـ كلا سأبقى هنا .

obeikandl.com

جولو ـ من ضعف الرأي أن تبقى وحدك في وحشة الغابة ولن تستطيعي قضاء الليل في سكون يروع القلبويفزع النفس . . . ما اسمك؟

مليزاند ـ مليزاند .

جولو ـ تعالي نخرج من الغابة .

مليزاند ـ إني باقية .

جولو ـ ستخافين وحدك ظلمة الليل . ومن يدرى . . ربما تكون الغابة ذات وحوش . . .

الليل كله ، وبمفردك؟ ! أقلعي عن عنادك وتفهمي قولي . هاتى يدك .

مليزاند ـ لا تلمسني .

جولو ـ لن ألمسك فلا تصيحي . سيكون الليل حالك السواد شديد البرد . تعالي معي

مليزاند ـ إلى أين أنت ذاهب؟

جولو ـ لا أدري . . . إني ضال مثلك (يخرجان) .

obeikandl.com

المنظر الثاني :

(ردهة في القصر . إركل وجنفييف جالسان يتحدثان)

جنفييف ـ سأتلو عليك ما كتبه الى أخيه بلباس :

(وجدتها ذات يوم عند الغبش تسكب الدمع الغزير على حافة ينبوع في الغابة، إني اجهل عمرها وأصلها ولا أعرف لها وطنا . ولا أجرؤ على سؤالهالأنها نابية الطبع يستقر في نفسها الذعر الشديد، ويقيني أنها عانت أمرا أدخل على نفسها الاضطراب والهلع . وإذا سئلت عما حدث لها، استخرطت في البكاء دفعة واحدة وملأت الجو بالتنهدات العميقة التي تفرض على السائل الصمت والخشوع . وقد مضى على زواجي منها ستة أشهر، ولا أعرف اليوم من أمرها أكثر مما عرفت في ساعة اللقاء الأولى . ولكنى آمل أن أصل إلى ما أريد بعد وقت وجيز، وليس هذا ما يهمني يا بلياس، يا من أعزه أكثر من شقيق

ولو أننا لسنا من صلب واحد، وإنما الذي يشغل بالي ويقض مضجعي هو أمر العودة الى أحضانكم والعيش بينكم كما كنت قبل الزواج. ولذلك أكتب إليك ضارعا أن تعبد لي الطريق. أعلم علم اليقين أن أمي تعفو عني فرحة مستبشرة. ولكنى أخاف إركل على الرغم من طيبة قلبه وسراوة خلقه، لا. . هدمت بهذا الزواج صروح أمله وخيبت فجأة كل خططه السياسية. وأخوف ما أخافه ألا يشفع لي الى حكمته جمال مليزاند وسحرها الحي، فإذا قبل بعد سعيك الجميل أن يستقبلها في بيته كما يستقبل ابنته، فأشعل مصباحا بعد أيام ثلاثة وضعه في أعلى البرج المطل على البحر، حتى أستطيع رؤيته من السفينة التي أقيم فيها مع زوجي. وإن رفض رجاءك فإني ذاهب الى نية بعيدة ولن تروني). كيف ترى؟

إركل ـ وماذا أقول؟ إن ما حدث يبدو غريبا لأننا لا نرى دائما إلا عكس ما يهيئه القدر. . . كان في كل حين

يتبع نصحي، وقد اعتقدت أن زواجه من الأميرة (إرسول) يهيئ له أسباب السعادة، ولذلك تقدمت إليه أن يذهب الى أهلها ويخطبها إليهم! لم يكن في مقدوره ان يعيش منفردا، وقد ثقلت عليه الوحدة بعد موت زوجه، وحزت في جلباب نفسه الحزينة. لو تم هذا الزواج الذي كنت أرغب فيه لوضع حداً لحروب طويلة وأحقاد قديمة! لم يشأ ذلك. فليكن الأمر كما أراد. إنى لم أجعل من نفسي قط عقبة تعترض حظ إنسان، وهو يعرف مستقبله أحسن مني. وربما انتج عمله نفعا لا ندركه اليوم

جنفييف ـ كان في كل أدوار حياته حازما رزينا بعيد النظر، وقد وقف كل حياته بعد موت زوجه على ولده الصغير (راينيولد) لقد نسى كل شئ. . . والآن ماذا نصنع؟

(يدخل بلياس)

اركل ـ من القادم؟

جنفييف ـ إنه بلياس وفي عينيه أثر البكاء .

اركل ـ هذا أنت يا بلياس؟ اقترب مني حتى أراك في النور .

بلياس ـ تسلمت يا جدي رسالة من صديقي مارسيللوس في الوقت الذي تسلمت فيه كتاب أخي . . إن هذا الصديق العزيز علي يعاني ألم الاحتضار . وهو يستقدمني إليه ليراني قبل أن يفارق العاجلة . ويقول في رسالته إنه يعرف بالدقة اللحظة التي سيموت فيها ، وأني أستطيع الوصول إليه قبل حلول تلك اللحظة إذا شئت . إني ذاهب إليه في الحال .

اركل ـ يجب عليك أن تنتظر قليلا ، على الرغم من ذلك أننا لا ندري ماذا تعده لنا عودة أخيك . ثم هل نسيت أن أباك ملقى على فراشه في الغرفة التي فوقنا ، وقد شفه الداء وبراه السقم؟ أليس من الجائز أن يكون أشد مرضا

من صـديقك؟ ومـن أولى برعايتـك وعطفـك، الوالـد أم الصديق؟ (يخرج)

جنفييف ـ لا تنس أن تشعل المصـباح الليلـة يـا بليـاس (يخرجان متفرقين).

obeikandl.com

المنظر الثالث :

(أمام القصر . تدخل جنفييف وملیزاند)

ملیزانـد ـ مـا هـذا السـكون المعـتم الـذي يخـيم علـى الرياض؟ انه يدخل على النفس الرهبـة والاكتئـاب! ومـا هذه الغابات الكثيفة الجاثمة حول القصر؟!

جنفييف ـ لما وطئت هذا المكان أثار هذا المنظر العجـب في نفسي وأخذ منها مأخذا شديدا . انه رائع مخـوف يغـرق كل من رآه في التأمل العميق . توجد أمكنة لا يرى الإنسان فيها نور الشمس ولا ضوء القمر ، فإذا ما طال مقامـه بهـا ألفها واطمأن إليها . . . قضيت في هـذا القصـر المـوحش أربعين عامـا أو تزيـد قلـيلا . . . لـو نظـرت إلى الناحيـة الأخرى لرأيت نورا ينبعث من ماء البحر .

ملیزاند ـ أسمع حركة قريبة منا .

جنفييف ـ نعم . أحد الناس يسير نحونا . . . آه! انه بلياس . .

ما يزال التعب باديا في أسارير وجهه وفي خطواته المتثاقلة . . . لقد انتظركما طويلا .

مليزاند ـ إنه لم يرنا .

جنفييف ـ أعتقد أنه رآنا ، ولكنه لا يعرف ما يجب عليه عمله ، بلياس ، بلياس ، أهذا أنت؟

بلياس ـ نعم . إني آت من شاطئ البحر .

جنفييف ـ ونحن أيضا كنا نبحث عن مكان ينعم بشيء من النور ، ولكننا لم نجد مكانا أقل ظلمة من هنا . كنا نرجو أن نجد البحر منيرا فألفيناه قاتماً مكفهرا . . .

بلياس ـ ستهب الليلة عاصفة كما هبت من قبلها عواصف في الليالي القليلة الماضية . . . ومع ذلك أرى الجو هادئا في هذا المساء ، والسماء مصحية والبحر ساكنا لا تعروه رعدة ولا تعلوه موجة ، قد يركب البحر الليلة

إنسان وهو مطمئن الخاطر مثلوج الفؤاد، حتى إذا بعد عن الشاطئ، دهمته العاصفة، وحطمت السفينة، وابتلعه اليم في جوفه . . .

مليزاند ـ أرى شيئا يخرج من المرفأ .

بلياس ـ لا بد ان يكون هذا الشيء سفينة كبيرة . . . الأنوار عالية، وسنرى السفينة بعد قليل حينما تبلغ الموضع الذي فيه أشعة الضوء .

جنفييف ـ قد يحجبها عن عيوننا الضباب الراقد على سطح البحر فلا نراها .

بلياس ـ كأني بالضباب يعلو في دءوب وبطء . . .

مليزاند ـ نعم . . . أرى الآن على البعد نورا ضئيلا لم أره قبل ذلك .

بلياس ـ هذا هو ضوء منارة . . ، توجد منارة أخرى لم نرها بعد .

مليزاند ـ بلغت السفينة الحيز المضيء . . . إنها الآن بعيدة عن الشاطئ .

بلياس ـ إنها تبتعد مسرعة وقد نشرت كل شراعها .

مليزاند ـ وهي التي جازت بي إلى المرفأ . . . إن لها شراعا كبيرا أعرفه حق المعرفة .

بلياس ـ سيباغتها الليلة هياج البحر !

مليزاند ـ ولماذا أقلعت في هذا المساء؟ . . . اختفت عن الأبصار أو كادت . قد تحل بها كارثة في وحشة الظلام!

بلياس ـ الليل يبسط على الكون ظلمته في سرعة غريبة (سكوت)

جنفييف ـ حان الوقت لدخول القصر . بلياس ، دل مليزاند على الطريق . إني ذاهبة لأرى (اينيولد) الصغير وامكث بجانبه بعض لحظات (تخرج)

بلياس ـ لم أعد أرى شيئا على سطح البحر .

obeikandl.com

مليزاند ـ أرى أنوارا أخرى . . .

بلياس ـ إنها المنائر الأخرى . . . أتسمعين صوتا يأتينا من البحر؟ إنه زفيف الرياح وقد مسحت عن عينيها فتـور الكرى . . . هاتي يدك . . . الطريق من هنا .

مليزاند ـ انظر . . . انظر . . . في يدي أزهار كثيرة!

بلياس ـ اعتمدي على ذراعي . . . ان الطريـق كـثيرة الالتواء شديدة الانحدار ، والظلام حالـك متكـاثف . . . في نيتي الرحيل غدا .

مليزاند ـ أوه! لماذا تنوي الرحيل؟ (يخرجان)

obeikandl.com

الفصل الثاني

المنظر الأول

(عين ماء في الحديقة. يدخل بلياس ومليزاند)

بلياس ـ تجهلين دون ريب هذا المكان الذي قدتك إليه. إني افزع إليه في كثير من الأوقات فرارا من شدة القيظ. . الحر خانق اليوم، حتى تحت ظل الشجر!

مليزاند ـ أوه! الماء صاف!

بلياس ـ وهو بارد منعش كعهدي به أيام الشتاء. . . هذه عين ماء عتيقة أهملت منذ زمن بعيد، وأظنها كانت تأتي بالمعجزات. . . كانت تشفي الأعمى ولذلك ما يزال الناس يطلقون عليها (عين العمى)

مليزاند ـ ولم تعد تنتج هذا الأثر؟

obeikandl.com

بلياس ـ من يوم أن ضعف بصر الملك وشارف العمى لم يعد يتردد على العين أحد.

مليزاند ـ ما أثقل الوحدة على صدر الإنسان في هذا المكان! إني لا أسمع فيه حسا ولا ركزا!

بلياس ـ السكون التام الغريب يألف هذا المكان في كل حين ويستطيب صحبته في كل آن. . . انظري إلى الماء، انه في سبات عميق. . . اجلسي إذا شئت على هذا المرمر الذي يحيط بالعين. . . فوق رأسك شجرة الزيزفون لا تخترقها أشعة الشمس.

مليزاند ـ سأرقد على المرمر. . . إن شوقاً ملحاً يدفعني إلى رؤية القاع.

بلياس ـ لم ير قط. . . قد تبلغ العين في عمقها البحر.

مليزاند ـ قد يرى الإنسان قاعها إذا وضح فيه شيء يلمع.

بلياس ـ لا تنحني هكذا!

مليزاند ـ أرغب في لمس الماء.

بلياس ـ أخاف عليك السقوط. . . سأمسك يدك. .

مليزاند ـ لا تفعل. أريد أن أغمس يدي في الماء. . .

من ينظر إليهما، يظن أن بهما اليوم مرضا!

بلياس ـ أوه! أوه! حذار، حذار من الوقوع في الماء!

مليزاند! أوه! شعرك!

مليزاند ـ (تنهض) لا أستطيع أن أبلغه!

بلياس ـ شعرك انغمس في الماء

مليزاند ـ نعم. انه أطول من ذراعي. . . انه أطول منى (سكوت)

بلياس ـ لقد وجدتك على حافة عين مثل هذه تبكين. أتذكرين؟

مليزاند ـ نعم

بلياس ـ وماذا قال لك؟

obeikandi.com

مليزاند ـ لاشيء . . . . لم أعـد أذكـر . . . نسـيت كل كلماته

بلياس ـ وهل دنا منك؟

مليزاند ـ نعم . وأراد أن يقبلني

بلياس ـ وأنت؟ هل أرضيت رغبته؟

مليزاند ـ كلا

بلياس ـ ولماذا؟

مليزاند ـ أوه! رأيت في قاع الماء شيئاً يتحرك!

بلياس ـ كدت تسقطين في الماء! . . . بماذا تعبثين؟

مليزاند ـ بالخاتم الذي أعطاني إياه

بلياس ـ لا تلعبي به فوق هذا الماء العميق

مليزاند ـ يداي لا ترتعدان

بلياس ـ ما أشد بريقه! لا تقذفيه في الفضاء هكذا!

مليزاند ـ أوه!

بلياس ـ هل سقط؟

obeikandl.com

مليزاند ـ سقط في الماء!

بلياس ـ أين هو! أين هو؟

مليزاند ـ لم أره أثناء وقوعه

بلياس ـ أعتقد أني أراه يشع في الماء بريقا

مليزاند ـ خاتمي؟

بلياس ـ نعم. نعم. . . انظري جيدا

مليزاند ـ أوه! إنه منا بعيد! لا. لا. ليس إياه. . . لقد فقد وغاب عن البصر. . . لم يعد إلا دائرة كبيرة على سطح الماء. . . ماذا نصنع الآن؟

بلياس ـ لا تجزعي من أجل خاتم. هذا أمر ضئيل الشأن. سنجده أو نجد غيره

مليزاند ـ كلا لننجده ولن نجد غيره أيضا! كنت أعتقد أنه في يدي. . . وكانت يدي حريصة عليه، ولكنه وقع في الماء على الرغم من هذا الحرص. . . قذفته في الفضاء بقوة شديدة كأني أردت له أن يبلغ الشمس!

بلياس ـ تعالي سنعود للبحث عنه في يوم آخر . .
تعالي لقد حان الوقت . سيبحثون عنا بعد قليل . . .
سمعت ساعة البرج تدق اثنتي عشرة مرة تعلن إلى الناس منتصف النهار ، وقد سقط الخاتم في الماء قبل أن تتلاشى الضربة الأخيرة في الهواء !

مليزاند ـ ماذا نقول لأخيك (جولو) إذا سأل عنه؟

بلياس ـ الحقيقة ، الحقيقة ، الحقيقة ! (يخرجان)

obeikandl.com

المنظر الثاني

(غرفة في القصر، جولـو راقـد علـى فـراش ومليزانـد جالسة بالقرب منه)

جولو ـ آه آه: خلي عنك الجزع فليس ما أصابني بـذي خطر إني في حال حسنة ولن يكون لجراحي أثر سيئ. . . ولكن لا أستطيع تفسير ما حدث! كنـت أصـيد في الغابـة مبتهجا هادئا. . . . ثم جمح جوادي دفعة واحدة دون أن أعرف السبب. . . هل رأى شيئاً غريبا مخوفا أدخل على نفسه الرعب والفزع؟. . سمعت ساعة البرج تدق اثـنتي عشـرة مـرة تعلـن إلى النـاس منتصـف النهـار، وقبـل أن تتلاشى الضـربة الأخـيرة في الهـواء، أقبـل الجـواد فجـأة وجرى كغرير مجنون. . . . وظل في عـدوه حتـى صـدم شـجرة غليظـة. . . وقعـت علـى الأرض، وأعتقـد أن الجواد وقع على صدري. . شعرت في تلك اللحظـة بـأن

الغابة كلها تثقل علي وتنتزع مني الحياة في ألم مبرح . . . وأيقنت أن قلبي يتمزق . . . ولكنه والحمد لله سليم في مكانه . . . لا تجزعي ولا تخافي . ستلتئم الجراح وتعود إليّ العافية الشاملة

مليزاند ـ أتشرب جرعة من الماء؟

جولو ـ ليس بي ظمأ . شكرا لك

مليزاند ـ أتريد مصدغة أخرى؟ . . . أرى على هذه نقطة صغيرة من الدم

جولو ـ كلا . لست في حاجة إلى مصدغة أخرى

مليزاند ـ أصدقني القول يا جولو ، هل تتألم من جراحك كثيرا؟

جولو ـ كلا . كلا . ليست هذه أول مرة تصيبني فيها الجراح . . . خلقت من حديد ودم

مليزاند ـ أغمض عينيك وتملق النوم . سأقضي الليل كله بجوارك

جولو ـ جنبي نفسك التعب فلست في حاجة إلى شيء . سأنام كالطفل الوديع . . . ماذا جرى؟ مليزاند! لماذا تبكين دفعة واحدة

مليزاند ـ (تستخرط في البكاء) إني . . . إني مريضة

جولو ـ مريضة؟ ! ماذا بك؟

مليزاند ـ لا أدرى . . . الحياة هنا تغمز على المرض . آثرت أن أقول لك ذلك اليوم . . . لست بسعيدة هنا

جولو ـ ماذا حدث؟ ! هل أساء إليك أحد؟

مليزاند ـ كلا . ليس هذا ما أعنيه . . .

جولو ـ إنك تخفين عني شيئاً في أغوار نفسك . أنفضي إلى جملة حالك . من الذي يكدر عليك صفو حياتك؟ أهو الملك ، أم أمي أم أخي بلياس؟

مليزاند ـ لا أحد يكدر علي صفو الحياة . إنك لا تستطيع إدراك نفسي . . . شيء أقوى مني . . .

جولو ـ لا تسلمي زمام نفسك إلى أوهـام تبلبـل بالـك وتشقيك. ماذا تريدين أن أفعل؟! هل عـدت طفلـة غـرة تتلاعب بلبـك أفكـار الخيـال؟! هـل زهـدت في زوجـك ورغبت في هجره؟

مليزاند ـ أوه كلا. ليس هـذا هـو. . أتمنـى أن أذهـب معك. . . لا أريد أن أعيش هنا بعـد اليـوم. . . أشـعر بأن عمري قصير ولن أستمتع بالحياة طويلاً!

جولو ـ ولكـني أريـد أن اقـف علـى علـة ذلـك. . . سيعتقد الناس إذا سمعوا قولك، أنك فقدت رشـدك، أو أنك طفلة يغـرر بهـا حلـم سـاذج. تكلمـي أهـو بليـاس الذي. . . ؟ يقيني أنه لا يتحدث إليك كثيرا .

مليزاند: بل يتحدث إلـي في بعـض الأوقـات: إنـه لا يحبني وقد قرأت في عينيه. ولكنـه يبـادلني الحـديث حـين يقابلني في طريقه.

جولو : لا تحقدي عليه يا ميلزانـد : إن في طبعـه بعـض الشذوذ والغرابة . . سيغير الزمن هذا الطبـع . . . إنـه في معية الصبا وزهرة العمر . . .

مليزاند : ليس هذا إياه . . .

جولو : إذن ماذا؟ أتعجزين عـن رياضـة نفسـك علـى السكون إلى الحياة التي نحياها في هذا القصر؟ أحقا انه عتيق معتم يخيم عليه سـكون رهيـب ، والطبيعـة حولـه حزينـة صامتة ، والغابات الكثيفة تحجب عنه نور السماء ، ولكـن الإنسان يستطيع بالإرادة الحسنة أن يألفه ويطمـئن اليـه . . ابتهلي كل فرصة لإدخال الإنـس علـى نفسـك وابتهجـي بالحياة كما هي . وتكلمي وأفصحي عن رغبتك . سأسـير على حكمك وأقف عند مشيئتك .

مليزاند : أني لـم أر قط السماء صافية . . . لقد رأيتها لأول مرة في هذا الصباح

جولو : أهذا هـو الـذي أبكـاك يـا زوجـي العزيـزة؟! أتسـتخرطين في البكـاء لأنـك لا تـرين السـماء؟! كيـف ذلك؟! لست في العمر الذي يبكي الإنسان فيه علـى مثـل هذه الأشياء التافهة . . . جاء الصيف أو كـاد، وسـترين السـماء في كـل يـوم . . . وفي العـام المقبـل . . . هـاتي يدك . . . أعطني يـديك الصـغيرتين (يمسـك يـديها) أوه انهما صغيرتان أسـتطيع سـحقهما كمـا أسـحق الأزهـار الرقيقة . . . آه! أين الخاتم الذي أعطيتك إياه؟

مليزاند : الخاتم؟

جولو : نعم . خاتم العرس أين هو؟

مليزاند : اعتقد . . أعتقد أنه سقط

جولو : سقط؟ : أين؟ هل فقد؟

مليزاند : لقد وقع . . ولكني أعرف أين هو

جولو : أين؟

مليزاند : أتعرف الكهف القائم على شاطئ البحر؟

جولو : نعم أعرفه حق المعرفة

مليزاند : الخاتم فيه . . . لابـد أن يكـون هنـاك . . . نعم أذكر أذكر الآن شـيء . ذهبـت اليـه في هـذا الصـباح لأجمع بعض القواقع

لأنيولد الصغير . . . في الكهف منها أنواع ذات شكل وجمال . . وأثناء ذلك انزلق الخاتم على إصـبعي ووقـع في البحر . . . وحـان وقـت رجـوعي إلى القصـر فغـادرت الكهف قبل أن أجد الخاتم .

جولو : هل توقنين أنه حيث تقولين؟

مليزاند : نعم . نعم . شعرت به وهو ينزلق

جولو : يجب أن تذهبي إلى الكهف للبحث عنه في الحال

مليزانـد : آوه! الآن؟ وفي الحـال؟! ألا تـرى الظـلام الحالك؟!

جولو : اذهبي في الحال وفي هذا الظلام الحالك . أحـب إليّ ان أفقد كل ما عندي من أن أفقد هذا الخـاتم! انـك لا

تعرفين قيمته ولا تدرين من أين جاء . . . سيعلو البحر الليلة ويبلغ جدار الكهف ثم يستحوذ على الخاتم دونك . أسرعي .

مليزاند : لا أجرؤ . . . لا أجرؤ على الذهاب وحدي

جولو : اذهبي . . . استصحبي معك أي إنسان . . . أسرعي . . . تقدمي إلى بلياس أن يصحبك

مليزاند : بلياس؟! أأذهب إلى الكهف مع بلياس؟! ولكنه لن يقبل . . .

جولو : سيعمل كل ما تسألين إياه . إني أعرف بلياس أحسن منك ، اذهبي وأسرعي . لن أنام حتى استرد الخاتم

مليزاند : آوه! لست سعيدة! ما أعظم شقائي (تخرج باكية) .

المنظر الثالث :

(أمام كهف . يدخل بلياس وملیزاند)

بلیاس : (يتكلم وهو مضطرب الأعصاب إلى حد كبير) نعم . إنه هنا . لقد بلغنا غاية السرى . الظلام حالك يحجب عن الأبصار مدخل الكهف ، وكأني به قطعة من الليل البهيم . والنجوم لا تطل على هذه الناحية المتلفعة بالظلمة الداجية . فلننتظر حتى يمزق القمر عن نفسه ستر هذا السحاب الكثيف ، وينير الكهف بأشعته الباسمة ، فنستطيع الدخول آمنين . ولا يغرب عن بالك أن من الأمكنة ما هو شديد الخطر ، والمستدق ضيق وعمر يقع بين بحيرتين لم يسبر غورهما بشر . . . ولم يخطر ببالي أن أحمل معي مشعلا أو سراجا منيرا . . . ولكني أعتقد أننا سنجد على ضوء مسماء هدى . . ألم تلجي هذا الكهف يوما؟

مليزاند: كلا

بلياس: فلندخل. . . يجب أن تملئ عينيك بالمكان الذي فقدت فيه الخاتم كما قلت له ليتسنى لك وصفه إذا سألك عنه. . . إن الكهف كبير فسيح، ورائع بهيج، تموج فيه ظلمات تضرب إلى الزرقة بعضها فوق بعض. وإذا أشعل إنسان فيه مصباحا صغيرا خيل اليه أن القبة مغطاة كالسماء بنجوم وكواكب. . . لا ترتعدي هكذا! خلي عنك الخور فليس هنا من خطر، وسنقف في اللحظة التي يغيب عنا الضوء المنبعث من اليم. ما الذي يفزع جنانك؟ أهو صوت الهواء الضارب في بطن الكهف؟ أتسمعين عجاج البحر خلفنا؟ كأني به غير سعيد الليلة! . . . آه! ها هو ذا النوء! . (في هذه اللحظة ينير القمر مدخل الكهف وجزء من داخله، ويرى فيه ثلاثة شيوخ بيض الشعور في أسمال بالية، ينامون على الأرض متلاصق ورؤسهم متكئة على صخرة كبيرة)

مليزاند : آه!

بلياس : ماذا جرى؟

مليزاند : أرى . . . أرى . . . (ثم تشير بإصبعها إلى الفقراء الثلاثة)

بلياس : نعم . لقد رأيتهم أنا أيضا

مليزاند : هلم نخرج . . . لنذهب من هنا ،

بلياس : انهم ثلاثة شيوخ نيام استبدت بهم الفاقة . . لماذا فزعوا إلى الكهف يستعدون فيه النوم على الألم؟ بالبلاد قحط ألم . . .

مليزاند : تعال معي نغادر هذا المكان!

بلياس : سكني روعك وتكلمي بصوت خافت حتى لا يستيقظ هؤلاء المساكين . . . إنهم ناعمون في نوم عميق . . . تعالي

مليزاند : . . . دعني ، أفضل المسير وحدي . . .

بلياس : سنعود في يوم آخر . . . (يخرجان)

obeikandl.com

الفصل الثالث

المنظر الأول :

(أحد أبراج القصر تطل إحدى نوافذه على طريق مستديرة)

مليزاند : (في النافذة تغني وهي تمشط شعرها المرسل)

شعري الطويل يتدلى

حتى يصل إلى أسفل البرج

شعري ينتظر مقدمك

مسبلا على الحائط طول النهار

أقسم بالقديس دانيال وزميله ميشيل

بالقديس ميشيل ومثيله القديس روفائيل

إني ولدت حقا يوم أحد

obeikandl.com

يوم أحد عند منتصف النهار

(يدخل بلياس من الطريق المستديرة)

بلياس : هيه! هيه!

مليزاند : من المنادي؟

بلياس : إني بلياس . . . هأنذا . . . ماذا تفعلين في النافذة . وأنت تغنين كطير ليس من هذه الناحية؟

مليزاند : أرتب شعري استعدادا لليل

بلياس : أهو هذا الذي أراه على الحائط؟ . . . ظننت انه شعاع من نور . . .

مليزاند : فتحت النافذة لأن الحر شديد في البرج . . . ما أجمل الجو الليلة!

بلياس : أرى في السماء نجوما كثيرة . . . لم أر قط مثل هذا العدد الوفير الذي أراه في هذا المساء! ولكن مالي لا أرى البدر؟ . . إنه ما يزال مطلا على البحر . . .

ابتعدي عن الظل يا مليزاند وانحني قليلا حتى أرى شعرك المحلول (تنحني مليزاند على النافذة)

مليزاند ـ إن شكلي بشع في هذا الموقف

بلياس ـ أوه مليزاند! . . . ما أجملك! . . . ما أروع منظرك في مكانك هذا! . . . أنحن . . . أنحن . . . دعيني أقترب منك أكثر من ذلك .

مليزاند ـ لا أستطيع أن اقترب منك اكثر مما فعلت . . هذا آخر ما أستطيع من الانحناء .

بلياس ـ ليس في مقدوري أن أرفع نفسي إليك اكثر مما ترين . . . اعطني على الأقل يدك في هذا المساء . . . قبل ذهابي . . . إني راحل غداً . .

مليزاند ـ لا . لا . لا

بلياس ـ نعم . نعم . أني راحل غداً . . . اعطني يدك . . . يدك الصغيرة أضعها على شفتي

مليزاند ـ لا أجيب سؤالك إذا أصررت على الرحيل

بلياس ـ اعطني . . . أعطني . . .

مليزاند ـ أعدلت عن السفر؟

بلياس ـ سأنتظر . . . سأنتظر . . .

مليزاند ـ أرى وردة في جوف الظلام

بلياس ـ أين هي؟ . . . أني لا أرى إلا أغصان شجرة الصفصاف التي تفوق في علوها البرج

بلياس ـ ليست بوردة . . . أني اذهب لأرى حقيقتها بعد هنيهة، ولكن اعطني يدك . . . يدك أولاً . . .

مليزاند ـ ها هي ذي . ألا تراها؟ . . . لا أستطيع أن أنحني أكثر من ذلك .

بلياس ـ شفتاي تعجزان عن بلوغ يدك

مليزاند ـ لا أستطيع أن أنحني اكثر من ذلك . . . كدت اسقط . . . أوه! أوه! شعري، امتهدل على حائط البرج .

(يسقط شعرها دفعة واحدة وهي منحنية ويقفز بلياس)

بلياس ـ أوه! ما هذا؟ . . شعرك يسعى إلى كل شعرك يا مليزاند سقط من البرج! . . . أني اقبض عليه بيدي. . . وأطبق فمي. . . وألف به ذراعي وعنقي. . . لن افتح يدي الليلة. . .

مليزاند ـ خل سبيله. . . أطلق سراحه. . . كدت تسبب لي السقوط!

بلياس ـ كلا. كلا. لم أر قط شعرا مثل شعرك يا مليزاند انظري! انظري! انه يأتيني من عل ويغمرني إلى القلب. . . لقد بلغ ركبتي. . . إنه رائع عذب. . . عذب كأنه هبط علي من السماء لم أعد أرى السماء خلاله. أترين لم يعد في مقدور يدي القبض عليه. . امتدت شعرات منه حتى بلغت أغصان الصفصاف. . . إنه حي في يدي كالأطيار. . . انه يحبني. . . يحبني أحسن منك ألف مرة!

مليزاند: خل سبيلي. . . قد يباغتنا أحد. . .

بلياس: كلا، كلا، لن أطلق سراحك الليلة، أنت سجينتي، وستظلين كذلك الليل كله. . .

مليزاند: بلياس! بلياس!

بلياس: لن تستطيعي الفكاك بعد ذلك. . . إني أربط شعرك حول الأغصان. . . لم أعد أتألم وسطه. . . أتسمعين قبلاتي ترقص على امتداده؟ إنها تتسلقه، ويجب أن تحمل كل شعرة إليك قبلة. . . أنظري. . . أستطيع الآن أن أفتح يدي. . . أترين؟ هاتان يداي مفتوحتين طليقتين، ومع ذلك تعجزين عن هجري والابتعاد عني!

(يخرج من البرج يمام ويطير حولهما)

مليزاند: أوه! آلمتني. . . ما هذه الطير التي تحوم في الفضاء حولي؟

بلياس: اليمام خرج من البرج. . لقد أفزعته فطار

مليزاند: أنه يمامي يا بلياس! اذهب من هنا ودعني وحدي لن يعود إلي يمامي!

بلياس: ولماذا؟

مليزاند: سيضل في الظلام. . . دعني أرفع رأسي. . إني، أسمع وقع أقدام. . . اتركني بربك. . . إن (جولو) مقبل علينا! أعتقد أنه هو! لقد سمع حديثنا. .

بلياس: انتظري! انتظري! شعرك عالق بالأغصان. . وقد اشتبك في سواد الليل. انتظري!

انتظري! . . . التف الكون بالظلام. . .

(يدخل جولو من الطريق المستديرة)

جولو: ماذا تصنع هنا؟

بلياس: ماذا أصنع هنا؟ . . . إني. . .

جولو: أنتما طفلان. . . مليزاند، لا تنحني هكذا على النافذة. . ستسقطين. . . أنسيتما أن شطراً كبيراً من الليل قد تردى في هوة الماضي؟ . . . كاد الليل أن

openkandil.com

ينتصف . . . لا يجوز أن تلعبا في الظلام كما تفعلان الآن . . . أنتما طفلان . . . (ثم يقول في انفعال شديد) أي طفلين، أي طفلين!

(يخرج مع بلياس).

obeikandl.com

المنظر الثاني :

(كهوف تحت القصر . يدخل جولو وبلياس)

جولو : أحترس . . . من هنا من هنـا . . . ألم تلـج قط هذا المكان؟

بلياس : بلى، مرة واحدة . . . وقد مضى على ذلـك زمن طويل

جولو : إذن أنتظر . . . ها هـو ذا المـاء الراكـد الـذي حدثتك عنه . . أتشم رائحة الموت التي تنبعث منه؟ هلـم نتقدم حتى نبلغ آخر الصخرة المطلة على المـاء، ثـم انحنـى عليها قليلاً . . . ستهب عليك الرائحة وتصدم وجهـك . انحنـى ولا تخـف، سأشـد أزرك . أعطـني لا . لا . . لا أريـد يـدك . . أخشـى أن تفلـت مـن يـدي . . أعطـني ذراعك . . أترى الهاوية؟ بلياس؟ بلياس؟

obeikandl.com

بلياس : نعم . أعتقد أني أرى قـاع الهاويـة . . . أهـو النور الذي يهتز هكذا؟ . . . أنت . . .

جولو : نعم . إنه المصباح في يدي يهتز . . انظـر ، إنـي أحركه لأنير الجدر . .

بلياس : إني أختنق في هذا المكان . هلم نخرج

جولو : لك حكمك

(يخرجان في صمت) .

obeikandl.com

المنظر الثالث :

(شرف عند مخرج الكهوف)

بلياس : آه! الآن أتنفس بعد ضيق . . . اعتقدت، لحظة؛ أن الدوار سيصرعني في هذه الكهوف الهائلة . . كنت على وشك السقوط . . في ذلك المكان المخوف هواء رطب ثقيل كأنداء من الرصاص، وظلمات كثيفة كعجين مزج بالسموم . . وها أنذا أملأ رئتي بهواء البحر كله! . إني لأجد نسيما منعشاً نضيراً، كزهرة تفتحت في هذه اللحظة وسط أوراق صغيرة خضراء . . آه! لقد سقيت منذ قليل الأزهار المغروسة أمام الشرف، والنسيم يحمل إلينا رائحة العشب المبلل ويفوح بشذى الأزهار وعطرها . حان وقت الظهر أو كاد، وآية ذلك أن ظل البرج قد أدرك الأزهار . انتصف النهار، لأني أسمع دق النواقيس وأرى

الأطفال يجرون نحو شاطئ البحر للاستحمام. آه! أنظر. أمنا وميلزاند في إحدى نوافذ البرج.

جولو: نعم إنهما لجأتا إلى ناحية الظل يعصمهما من حرارة الشمس. . وبمناسبة ميلزاند أقول لك إني سمعت ما جرى وما قيل أمس مساء. إنه حديث أطفال يلعبون، وأعرف ذلك جد المعرفة ولكن يجب ألا تعودا إلى ما كنتما فيه من حديث ولعب. إنها رقيقة الحس ورقيقة الأعصاب، وحالها تتطلب معاملة فيها حسن السياسة ولطف الكياسة، لأنها فوق ما ذكرت تحمل في أحشائها جنيناً وستصبح أماً في القريب العاجل. وأقل انفعال قد يصيبها بمكروه. وليست هذه بأول مرة أرى فيها ما يجعلني أظن أن بينك وبينها أشياء. . إنك أكبر منها سناً، ويكفي أن أقول لك ذلك. . تجنبها ما استطعت، ولكن في غير تصنع. . أسمعت؟ في غير تصنع (يخرجان)

المنظر الرابع :

(أمام القصر . يدخل جولو وولده إينيولد الصغير)

جولـو : تعـالى نجلـس هنـا يـا إينيولـد . تعـالى . علـى ركبتي . سنرى من هذا المكان ما يجري في الغابـة . لم أعـد أراك يا بني منذ أيام كثيرة . أنت أيضاً تهجرني وتزوَّر عني معرضـاً! إنـك في كـل حـين عنـد أمـك الصـغيرة (يعـني مليزانـد) . . . آه! هـا نحـن أولاء نجلـس تحـت نوافـذها مصادفة . . لعلها في هذه اللحظة تؤدي صـلاة المسـاء . . ولكن دعنا من هذا وقل ، يا بني : إنها تقضي أكثـر وقتهـا مع عمك بلياس ، أليس كذلك؟

راينيولد ـ نعم . نعـم . إنهـا تجالـد كـل الوقـت الـذي تغيب فيه عن البيت .

جولـو ـ آه! . . . أحـد النـاس يجتـاز الحديقـة وبيـده مصباح ولكن قيل لي أنهما لا يتحابان. . . ويغلب على ظني أنهما يقضيان أغلب الأوقات في جـدل عنيـف. . . كلا؟ نعم؟ حقا؟

إينيولد ـ نعم. هذه حقيقة.

جولو ـ نعم؟ . . آه! آه! . . . ولكن فيم يتجادلان؟

إينيولد ـ في شأن الباب.

جولو ـ كيف؟ في شأن البـاب؟ مـا هـذا الهـراء الـذي تقصه علي؟ ألق بالك إلي وأفصح. لماذا يتجادلان في شأن الباب؟

إينيولد ـ لأنهما لا يريدان أن يظل مفتوحا.

جولو ـ أيهما لا يريد أن يظل الباب مفتوحا؟ . . أوه! تكلم. لماذا يتجادلان؟

إينيولد ـ لا أدري يا أبي. . . النور سبب الجدل.

جولو ـ موضوع حديثنا الباب لا النور . . . ما هذا؟!
لا تضع يدك هكذا في فمك . . .
إينيولد ـ أبي! أبي! لن أفعل أبداً ما نهيتني عنه . .
(يبكي)
جولو ـ تكلم . علام البكاء؟ ماذا حدث؟
إينيولد ـ أوه! أوه! لقد آلمتني يا أبي .
جولو ـ آلمتك؟ في أي موضع؟ لم أشعر بما فعلت ولم أقصد إليه .
إينيولد ـ هنا . في ذراعي الصغيرة .
جولو ـ لم أرد إيلامك يا بني . . . كف عن البكاء . . . سأعطيك شيئا غداً . .
إينيولد ـ ماذا يا أبي؟
جولو ـ سأهدي إليك قوساً وسهاما . . . ولكن قص علي ما تعرفه من أمر الباب .
إينيولد ـ أتهدي إلي سهاما كبيرة؟

جولو ـ نعم غاية في الكبر . . . لماذا لا يريدان أن يظل الباب مفتوحا؟ . . . ما هذا الصمت الأليم؟! تكلم . أجب . . . لا . لا . . . لا تفتح فمك لتبكي . . . ليس بي استياء ولا كدر . فيم يتحدثان وقت اجتماعهما؟

إينيولد ـ بلياس وأمي الصغيرة؟

جولو ـ نعم . في أي شأن يتحدثان؟

إينيولد ـ يتحدثان عني . دائما في شأني .

جولو ـ وماذا يقولان عنك؟

إينيولد ـ يقولان أني سأصير كبيراً طويل القامة .

جولو ـ آه! يا بؤس عيشي! إني هنا كضرير يبحث عن كنزه في أعماق اليم! . . . إني هنا كطفل صغير ضل في غابة كثيفة . . وأنت . . آه! لا تكترث لما قلت، فقد كنت لاهيا يا إينيولد . سنتكلم جادا يا بني . ألا يتحدثان، بلياس وأمك الصغيرة، عني في غيبتي؟

إينيولد ـ يذكران أسمك في الحديث .

جولو ـ آه! وماذا يقولان عني؟

إينيولد ـ يقولان إني سأصير كبيراً طويل القامة مثلك.

جولو ـ وهل أنت دائماً معهما؟

إينيولد ـ نعم. نعم أقضي معهما كل الوقت يا أبي.

جولو ـ ألم يطلبا إليك قط أن تغادر الغرفة وتلعب في مكان آخر؟

إينيولد ـ كلا يا أبي. الخوف يستحوذ عليهما إذا بعدت عنهما.

جولو ـ الخوف يستحوذ عليهما؟. . وكيف عرفت ذلك؟

إينيولد ـ لأنهما يبكيان دائما في الظلمة.

جولو ـ آه! آه!

openkandil.com